الفصل الثانى

جمع الجنود

فى الشهر الثانى من سنة ٣٧ من ميجى (عهد النور وهو يطابق على عهد الامبراطور الحالى) قطعت العلاقات السياسية بين اليابان وروسيا وابتدأت المناوآت بين الشعبين فلقد ضربت دوناتمتنا المراكب الحربية الروسية فى شموليو وخارج بورت ارثور ضربات مدوخة وبعد أن أصدر جلالة الميكادو الرفيع أمره باعلان الحرب صدرت الاوامر الى فرق الجيش المختلفة بجمع جنودها فكنت ترانا فى ذاك الوقت نحن جنود اليابان نحس بان عظامنا تطقطق ودماءنا تغلى داخل أجسامنا مستعدين لاعطاء منفذ لهذا النشاط الذى طال ادخاره . جمع الجنود ! ما أعذب هذه الكلمة على قلوبنا المسرورة ! ولما كنا ننتظر بفروغ صبر أمر التقدم الى الحرب كنا نتساءل دائما : ماهى الفرقة التى اجتمعت اليوم ؟ ما التى ستجتمع غدا ؟ الى متى ننتظر ؟ الم يأت الامر بعد ؟ ألا نصبح فنجد انفسنا على الفور فى ميدان القتال ؟ . . كل ذلك لم يكن حبا فى أن نمتاز أو نكتسب الشرف فى المعارك الاولى بل كراهة لفكرة الحضور الى ميدان الوغى بعد ان تكون فرق اخرى حملت كل الثقال المواقع الاولى . ولكن ما الذى يمكننا صنعه بدون أوامر جلالة الميكادو وما نحن الا جنود مستعدون على الدوام لقذف أنفسنا فى الماء والنار طوعا لكلمة يفوه بها جلالة مليكنا المعظم وكنا كذلك منتظرين كلمة « التقدم » البسيطة فما

كان أعظم انتظارنا بشوق الى هذه الكلمة الفذة وأمر الجمع كانتظار المزارع المتألم من القحط سحابة مطر في السماء فكنا نصلي لاجل هذا الجمع كما يصلي هو للامطار وكنا كلما قابلنا أي شخص أو وجدنا أي محل لا حديث لنا سوى السؤال عن جمع الجنود

وأخيراً صدر هذا الامر الى فرقتنا في وسط شهر ابريل بين أعياد أزهار الكريز (هذه الزهرة هي علامة روح اليابان المحاربة) فتقبلناه بكل اشتياق وترحاب وكنت في ذاك الوقت بيرقدار الألاي فعند سماعي لهذا الخبر المفرح قلت لقومندانى : اهنئكم من صميم فؤادي يا أمير الاي لصدور هذا الامر : فتبسم الميرالاي أولى تبسم سرور كما انه رحب بذاك الامر قائلا ـ انه أتى أخيراً

وكان هذا أحسن يوم ولم يسعني وقتئذ الا ان أمر وأنا سكران من الفرح على جميع ضباط البلوكات حاملا هذا النبأ وكنت ترى كأن كهرباء روحانية عجيبة سرت في جميع الحامية المكونة من زهرة أرض الآلهة وكأن كلا من الضباط والجنود كانوا مستعدين لمحاربة الروسيا يداً واحدة وارواحنا كانت على مرسح القتال أما اجسامنا فكانت لم تزل في بلادنا

أما جنود الرديف فلم تكن أقل حماسا وسرعة في التجمع حول العلم المحبوب ولو أن بعضهم كان في فقر مدقع حتى لو تركوا زوجاتهم واولادهم فلا شك انهم يكونون في فاقة بعدهم وآخرون آتون من جانب فراش آبائهم طاعني السن أو في سكرات الموت الذين يودون أن يبقوا بجانبهم ولكن هناك واجب آخر أكبر وأعظم ذاك الوقت الذي يخدم فيه الانسان وطنه عليه ان يلبي

طلبه بسرعة وقلب خالص فما أعظم عقيدة ان يرى الانسان نفسه مستعدا دائماً لتضحيه حياته فى خدمة وطنه وشعبه وكنا كلما رأيناهم مزدحمين يوما بعد آخر كانت ترتبط قلوبنا بحبلى السرور والقوة

وهنا اذكر مثالا محزنا وهو انه كان لاحد جنود الرديف المدعو ناكامورا امرأة مريضة وولد فى الثالثة من عمره وكان فى غاية الفقر واذا تركهما الزوج فلاشك ان العائلة تموت جوعا ومع ذلك فهذا الضيق العائلى ما كان له أى حيز فى فكرهم بجانب الضيق الوطنى ولقد جمعت هذه الزوجة الضعيفة فى الليلة السابقة لرحيل زوجها قواها وتوجهت الى أقرب بلد لقريتها وهناك اشترت كيلا من الارز وبما قيمته بعض المليمات من خشب الحريق كل ذلك لعمل أكلة وداع لزوجها الذى يبارحها باكرا الى هيكل القربان الوطنى غير ناظرة ان ما انفقته كان جميع ما بيدها مع أنها كانت مريضة فى وقت الفراق وولدها يتضور جوعا والزوج سيقدم حياته لوطنه وفى الصباح قبل الشفق ودع ناكامورا كلا من الزوجة والولد وأسرع الى خدمته بكل شجاعة وهذا مثل واحد من مئات الوف أخرى ولكن لم تترك هذه العائلات بدون اعانة فالمحسنون الذين اشتركوا فى شعور هذه الفقراء ابتدأوا عاجلا بكل نشاط فى مساعدة هذه العائلات السعيدة بينما كانت الرجال يجاهدون في ميدان القتال فى سبيل حب الوطن الكريم

ولما حضرت جنود الرديف والاحتياط الى حامياتهم كان يرد بعضهم لعدم لياقتهم صحيا أو طبيعيا وكان منظر هؤلاء محزنا كأنهم وقعوا من قمة المجد وكانوا يخاطبون الضباط هكذا : ألا يمكنك من فضلك ان تأخذنى

باى طريقة فان القوم ودعونى باجلال عظيم عنـد مفارقتى قريتى ونادوا بانزاى (كلمة هتاف) مراراً عند تحرك القطار ولقد حضرت وأنا مصمم ان لا أرجع لبلدى فكيف أتحمل هذا العار برجوعى الى جيرانى خائبا بدون فائدة أرجوك أن تأخذنى معك وكانوا هكذا يلحون فى الرجاء والضباط تخفف عنهم خيبتهم وحزنهم وترجوهم ان يعودوا الى بلادهم

وكانت هذه الجنود الخائبة تقول لاخوانهم الذاهبين لميدان القتال :

ما أسعدكم ! ان عائلاتكم ستراعى فى غيابكم

والجنود تردعليهم :

صبراً صبراً ساحضرلك معى عشرة أوعشرين من رؤوس الروسيين عند العودة

واحد المتخلفين يقول :

عزيزى، ساتو لاتمت مريضا ولكن ان مت فنى الوغى ولا تنزعج على أخيك

والمحارب يقول :

انى مستعد أن لا أعود على أرض اليابان بهذه السيقان ثانيا وكن مسرورا معى عند سماعك اني مت فى المعركة وأشكرك على هذا الوداع الجميل وانى أرد عليك بامتيازى في الميدان

وكانت أمثال هذه الاقوال تسمع على أبواب القشلاقات وفى كل مكان فالرجال مشتاقون للمحاربة والامة مساعدة لعائلاتهم فى غيابهم ألم يكن هذا هو سر انتصارنا الباهر وهكذا كنا مشتغلين ليلا ونهاراً لغاية انتهاء جمع

الجنود فالبعض تعين فى قوة الالاى المحاربة والآخرون فى قائمة الاحتياط وبعد ذلك كنا مستعدين للسفر بأى أشارة صغيرة أما الذين تركوا فى الوطن تحت الطلب فكانوا فى غاية الكآبة والحزن يرجون ضباطهم بأن يسمحوا لهم بأن يلحقوا مع القوة المحاربة المسافرة أولا وكانت رفاقهم المسافرون يسلونهم ويشجعونهم بالدعاء لهم بأن يلحقوهم فى ميدان القتال حالا اذان الحرب ستدوم مع العدو ليس بأقل من ستة شهور وزيادة وأن دورهم لا بد أن يأتى وسيكون لهم الحظ الاوفر والشرف الاعظم بضرب العدو الضربة القاضية

ومن الروايات المحزنة التى حصلت فى هذه الاثناء أن شخصا يدعى توجو مياتا كى كان يسكن أحد المعابد البوذية وكان قوى الجنان عند مفارقة أهله وخلانه عازما على أن يكون من أوائل المحاربين لحوز النصر ولكنه وضع فى قائمة الذين تحت الطلب بدون أن يعلم متى تأتى ساعة سفره فعد ذلك اهانة كبرى لا يحملها ولذا عول على أن ينتحر حتى يحرر روحه من بدنه لتتوجه الى ميدان القتال للاشتراك مع رفاقه الاحياء وكانت تحادثه نفسه بذلك كأشرف طريقة للفرار من هذا العار وفى ذات ليلة بينما كان رفاقه مستغرقين فى النوم سطر توجو هذا كتابا مودعا أهله هكذا

« انى لفى حزن لا يمكن احتماله لعدم وجودى مع رفاق الذين توجهوا الى ميدان الوغى ورغما عن رجائى المتكرر لم يرق أحد لحالى وأنى أبرهن على اخلاصى بالانتحار »

وبعد ذلك اخرج خنجراً من غمده المصنوع من الخشب الابيض ثم

قطع بطنه بالعرض هامسا (بانزاى) للامبراطور بين دموعه المسترسلة وكان ذلك فى ١٢ مايو فى ركن معبد قديم آيل للسقوط بينما كان المطر يتساقط من السقف ولكن السماء رحمت هذا الجندى الامين فلقد استيقظ رفاقه وبادروا لاسعافه فأرسل للمستشفى وهناك شفى من جراحه فى الوقت المناسب وبعد ما خرج سمح له بالتوجه الى ميدان القتال وربما سمى بعض ذوى الافكار هذا الرجل معتوها أو متعصبا ولكن الحقيقة أنه كان عاقلا ومخلصا لوطنه وهذه الحادثة تظهر شدة اخلاص جميع أفراد الجيش على بساطتهم

تفخر روسيا بأراضيها الشاسعة وجنودها الكثيرة ولكن شعبها المضغوط عليه المزدرى به من رؤسائه لا يمكنه أن يصدق قلبيا فى صلاحية مليكه ولذا لا يمكن أن يشرف حكومته فى الحرب فالفوزاق كانت تسوق هذه الجنود رغما عنهم الى منشوريا باطراف السونكيات كقطيع من الاغنام نعم ان جنود روسيا بواسل وأقوياء لا أنهم قاصرون فى الادبيات وهو أول طلب للنجاح فى الحرب أما نحن فبالعكس لنا روح منيعة اسمها ياماتو داماشى تهذبت تحت قواعد عسكرية شديدة

وقد تنفذت جميع الاوامر اللازمة لجمع الجنود بالتمام وبسرعة عجيبة حتى خيل أنها كانت مدبرة من قبل وكنا جميعا متأهبين ومنتظرين بفروغ صبر يوم الرحيل

وبينما كنا ننتظر بسرور وابتهاج هذا الوقت كانت أيدينا تأكلنا للمحاربة وكنا نستحث حساماتنا ونرسم لبعضنا ما سنصنعه فى ميدان القتال وكثير من الجنود كانت تهز حساماتها اللماعة كما كنت أفعل متبسمين بمعنى خفى فى

ضوء قمر نصف الليل فى أرض الحامية الساكنة

وعند ما تمت جميع التجهيزات اللازمة فتش الاميرالاى تفتيشا بهيئة السفرية وكانت فى ذلك الوقت أرض الطابور الواسعة ملآى بالجنود والضباط الذين تعد بالآلاف من طرف لآخر على كل واحد ما يلزمه من سلاح وما كل وملبس وخلافه اذ بعد ذلك سيكونون كتفا لكتف أمام رصاص العدو الطائر وأصوات مقذوفاته الرعدية والامطار الوبائية والضباب المسمم آكلين وناعمين سويا رفاق فى الشدائد والحرمان من كل طيب

وقد جىء بالعلم بين أصوات الابواق المحركة الى الوسط وقد استقبله الميرالاى أوكى باحتفال مؤثر هـذا الرجل الذى بيده أرواح آلاف من الجنود المحيطة بهذا العلم قال لى بعد ذلك أنه واجد نفسه فى غاية المسئولية وقد شعر بطرب اعجاب عند مارأى فى هذه الحفلة كيف كانت هذه الجموع متشوقة للقتال ومستعدة للتضحية

وفي ختام الاحتفال القى الميرالاى خطاب تعليمات بصوت مهيج جعلنا نعض شفاهنا بتحمس مرتعشين بانفعال نفسانى

وبعد ذلك بيضع أيام أعطانا اللواء (ياماناكا) الذى كان قائد لوائنا نصيحة تحتوى على الكلمات الآتية :

ان علم آلايكم اكتسب اسما كبيراً في حرب اليابان مع الصين وشهرته مطبوعة فى أذهان الجميع وانكم الآن مسئولون أن تحافظوا على هذا الشرف أن يستمر غير ملوث فالواجب عليكم أن تجتهدوا الى النهاية فان فعلتم أو لم تفعلوا فان ذلك متوقف على عزيمتكم وعليكم أن تفتكروا أن تلوث هذا العلم

مرة واحدة من الصعب ايجادفرصة بسهولة لازالتها فلا تهدموا بعدم نجاح واحد الشرف الذى ناله هذا العلم من أول حروباته وانى أظن أن أخرشىء عندى هو أن نتقاسم الصعود والهبوط والحياة والممات معكم يا ايها الضباط والجنود تحت هذا العلم التاريخى فنحن المتكأ الاصلى لجلالة الميكادو وحراس سلامة بلادنا والطريقة الوحيدة التى يمكن بها تأدية هذه المسئولية الخطيرة هى أن نتذكر دائما الخمس حكم التى أصدرها جلالته الرفيعة للجنود وهى : (١) أن نؤدي واجباتنا بغيرة خالصة (٢) أن ننفذ فعلنا على حسب ما تقرره قلوبنا (٣) أن جلالته أعطانا تعليما آخر قائلا نحن معتمدون على اخلاصكم وشجاعتكم لتتميم النصر وحفظ مجد امبراطوريتنا غير ملوث فكيف نرد على كلمات جلالته هذه العذبة فعلينا أن نعمل بكل اجتهادنا فى نهو هذه الحرب بسرعة ونتيجة ناجحة حتى يمكننا الحصول على اتكال الامة علينا ورد الطمأنينة فى قلب جلالة الامبراطور الرحيم وبذلك نحفظ لوطننا سكينة دائمة فيكون هذا مكافأة لسعينا الضعيف نعم ان موقفنا الحالى خطر الا أن هذا الخطر تضاعف عشرة أمثاله بهذا الاتكال الموثوق به الذى وضعه فينا جلالته والامة فنحن الآن تحملنا حمل الواجب والمسئولية الثقيلين